



سفينة هذه الثورة السورية تمخر بتصريف رباني، انطلاقتها الأولى من درعا كانت بتديير رباني، وكل فصولها بما فيها من ألم وأمل كانت كذلك بتديير رباني، فإن المكر الذي حاط بهذه الثورة ليصدق عليه قوله تعالى (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال).. ومع ذلك فقد سلمها الله منه (ولا يحيد المكر السيء إلا بأهله) ..

واليوم نحن في الفصل الأخير من فصول هذه الثورة ألا وهو معركة تحرير دمشق الكبرى..

نسطر في كتاب الثورة خاتمتها بعد أن كتبنا مقدمته في درعا!!

لم تنطلق هذه المعركة بتديير بشري، فالجميع تفاجأ بانطلاقتها حتى إنتي رأيت على صفحات بعض الناشطين صرخات عالية تقول: لا تستعجلوا، لم تبدأ ساعة الصفر، ولم تنطلق المعركة الكبرى بعد! ولكن.. إذا الله أراد شيئاً أمضاه.. وتديير الله لعباده خير من تدييره لأنفسهم.

في هذه المعركة معالن واضح حتى هذه اللحظة، لا بد أن نعرج عليها سريعاً:

الأول: الكتائب المقاتلة في دمشق، هناك درجة من التنسيق بينهم عالية، تتناسب مع قدراتهم العسكرية، وهذا الانسجام مؤشر خير، وقد التحق بعض المقاتلين من المناطق السورية المختلفة بكتائب دمشق، أعرف شخصياً مجموعة من هؤلاء، وسمعت من آخرين، وهم في الأصل من دمشق، ولكنهم كانوا في كتائب أخرى تذبذب عن الوطن الغالي.

كتائب دمشق هي المرشحة لجسم المسألة، وأهل دمشق وريفها هم الأدرى بها، ولذلك نسلم لهم قيادة هذه المعركة المفصلية، فكما قيل في الأمثال: أهل مكة أدرى بشعابها..

فهذه المعرفة ضرورية في قيادة معارك قتال الشوارع الدائرة في دمشق.

الثاني: العملية النوعية التي أودت بأكابر مجرمي دمشق غيرت مجرى الثورة، على الصعيد الداخلي والخارجي.

في تصوري إن أهم تداعياتها على الداخل رفع معنويات الجيش الحر حتى كادت تناطح السماء، حتى إن بعضهم من النشوة ظن أن النظام سقط، وما أعقب ذلك من انشاقات هائلة في صفوف الجيش النظامي كانت سبباً في بسط الجيش الحر نفوذه على أماكن كبيرة مما إن يتوجه هذا الجيش المظفر إلى معركة حتى يسلم له الموالون بدون قتال، بل ويتحققوا به.

في حين إن المعذين وذوي الشبيحة من أبناء الطائفة العلوية وغيرهم بدؤا بإخلاء البيوت التي كانوا يغتصبونها بقوة النظام

في دمشق وحمص واللاذقية وتوجهوا إلى قراهم الأصلية التي خرجوا منها، حتى إن تلك المدن تكاد تقفر منهم !! على الصعيد الخارجي بدأ الاعتراف رسمياً بالجيش الحر، وطلب منه تشكيل حكومة انتقالية مع المجلس الوطني. وبدأ الحديث الجدي هذه المرة عن انتقال السلطة من الأسد وآلـه.

و هنا أقول: مـاذا لو حصلت عملية نوعية أخرى بـحجم هذه، قد ينهار النظام مباشرةً، فإنهـ كـاد ينهـار في العمـلـيـة الأولى.

الثالث: الاشـقـاقـاتـ الكـثـيرـةـ المـتـابـعـةـ صـيـرـتـ الجـيـشـ السـوـرـيـ الحـرـ هوـ الأـصـلـ،ـ وـجـعـلـتـ منـ نـظـامـ الأـسـدـ عـصـابـاتـ إـرـهـابـيـةـ منـشـقـةـ عنـ الجـيـشـ الوـطـنـيـ..ـ

وـهـنـاـ أـسـطـرـ كـلـمـتـيـنـ لـلـمـشـقـيـنـ:

الأـلـيـ:ـ نـسـيـانـ الذـاتـ،ـ وـعـدـمـ التـطـلـعـ لـتـحـقـيقـ مـكـاـسـبـ شـخـصـيـةـ وـمـنـاصـبـ وـهـمـيـةـ،ـ فـالـمـرـحـلـةـ تـتـطـلـبـ مـنـ التـسـامـيـ لـأـجـلـ الـوـطـنـ.

الثـانـيـ:ـ مـكـانـ الـجـنـديـ وـالـضـابـطـ الـمـنـشـقـ هوـ الـمـيـدانـ،ـ وـلـيـسـ الـلـجـوءـ إـلـىـ هـنـاـ وـهـنـاـكـ،ـ كـمـاـ كـنـتـ مـمـسـكـاـ بـبـارـوـدـتـكـ مـعـ جـحـافـلـ النـظـامـ،ـ فـقـدـ وـجـبـ عـلـيـكـ أـنـ تـنـطـهـرـ مـنـ تـلـكـ الـأـدـنـاسـ وـتـغـسـلـ عـنـكـ عـارـ الجـيـشـ الأـسـدـيـ الـخـائـنـ،ـ فـالـمـخـيـمـاتـ لـنـ تـنـتـفـعـ مـنـكـ بـشـيـءـ بـلـ سـتـكـونـ كـلـاـ عـلـىـ السـوـرـيـيـنـ الـلـاجـئـيـنـ.

وـلـمـ يـنـشـقـ أـقـوـلـ:

هـذـهـ الـلـحـظـةـ الـأـخـيـرـةـ لـكـ كـيـ تـسـتـبـقـوـاـ عـلـىـ أـرـوـاحـكـ،ـ فـالـسـوـرـيـوـنـ لـنـ يـرـحـمـوـكـ،ـ وـمـنـ لـمـ يـنـشـقـ سـيـشـقـهـ الجـيـشـ الحـرـ!!

الـرـابـعـ:ـ بـالـتـزـامـنـ مـعـ مـعـرـكـةـ دـمـشـقـ اـنـطـلـقـتـ مـعـرـكـةـ تـحـرـيرـ حـلـبـ،ـ وـالـحـلـبـيـوـنـ اـسـتـعـانـوـاـ بـالـلـهـ عـلـىـ حـاجـزـ الـخـوـفـ الـذـيـ فـيـ دـاـخـلـهـمـ فـكـسـرـوـهـ،ـ وـلـذـلـكـ هـمـ يـسـطـرـوـنـ الـآنـ أـرـوـعـ الـبـطـولـاتـ فـيـ تـحـرـيرـ الـعـاصـمـةـ الـثـانـيـةـ.

تـحـرـيرـ حـلـبـ يـعـنـيـ ضـرـورـةـ تـحـرـيرـ دـمـشـقـ،ـ لـأـنـهـ تـعـتـبـرـ الرـئـةـ الـتـيـ مـنـ خـالـلـهـ يـتـنـفـسـ النـظـامـ وـيـتـمـولـ إـقـتـصـادـيـاـ..ـ

عـجـبـيـ مـنـ حـلـبـ..ـ تـأـخـرـتـ فـيـ الـالـتـحـاقـ بـقـافـلـةـ الـثـورـةـ،ـ وـهـاـيـ الـآنـ تـنـافـسـ وـتـسـابـقـ فـيـ مـيـدانـ التـحـرـيرـ.

قـلـتـ سـابـقـاـ لـمـ سـئـلـتـ عـنـ تـخـلـفـ حـلـبـ عـنـ رـكـابـ الـثـورـةـ:ـ إـنـ الـثـورـةـ اـنـطـلـقـتـ مـنـ درـعاـ وـسـتـنـتـصـرـ فـيـ حـلـبـ!!

الـخـامـسـ:ـ الـمـدـنـ السـوـرـيـةـ كـلـهـاـ مـنـتـفـضـةـ لـنـصـرـةـ قـلـبـ الـأـمـةـ إـسـلـامـيـةـ دـمـشـقـ،ـ

وـهـنـاـ أـسـطـرـ مـلـاحـظـاتـ أـرـجـوـ مـنـ الجـيـشـ الحـرـ الـانتـبـاهـ لـهـاـ:

1- اـقـطـعـوـاـ الـطـرـقـاتـ الرـئـيـسـيـةـ الـتـيـ يـسـتـخـدـمـهـاـ النـظـامـ لـدـدـعـمـ الـلـوـجـسـتـيـ،ـ وـذـلـكـ بـنـسـفـ الـجـسـوـرـةـ الرـئـيـسـيـةـ عـلـىـ الـطـرـقـاتـ السـرـعـةـ،ـ لـاـ سـيـماـ تـلـكـ الـمـوـصـلـةـ مـنـ السـاحـلـ إـلـىـ دـمـشـقـ،ـ حـيـثـ إـنـ الـقـوـافـلـ الـعـسـكـرـيـةـ عـلـىـ قـدـمـ وـسـاقـ.

2- أـصـحـابـ الـخـبـرـةـ بـدـمـشـقـ مـنـ أـبـنـائـهـأـوـ القـاطـنـيـنـ بـهـاـ مـنـ أـفـرـادـ الـجـيـشـ الحـرـ مـنـ هـمـ الـآنـ فـيـ مـخـلـفـ الـمـدـنـ السـوـرـيـةـ عـلـيـهـمـ الـالـتـحـاقـ بـكـتـائـبـ دـمـشـقـ،ـ دـمـشـقـ تـنـادـيـكـ فـلـبـواـ نـدـاءـهـاـ.

3- الـحـرـ الـاسـتـخـبـارـاتـيـ مـهـمـةـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـظـرـوفـ،ـ فـكـوـنـواـ جـمـيـعـاـ عـيـناـ وـاحـدـةـ وـأـذـنـاـ وـاحـدـةـ لـمـصـلـحةـ الـجـيـشـ الحـرـ.

الـسـادـسـ:ـ الـمـعـارـضـةـ السـيـاسـيـةـ مـمـثـلـةـ بـالـمـجـلـسـ الـوـطـنـيـ،ـ وـهـوـ مـجـلـسـ قـدـ تـحـسـنـ أـدـأـوـهـ كـثـيـراـ فـيـ الـآـوـنـةـ الـأـخـيـرـةـ عـلـيـهـ تـشـكـيلـ حـكـومـةـ فـيـ الـمـنـفـيـ عـلـىـ جـنـاحـ السـرـعـةـ،ـ يـكـوـنـ أـعـضـائـهـاـ مـنـ الشـخـصـيـاتـ السـوـرـيـةـ الـعـامـةـ مـنـ هـيـ مـنـ خـارـجـ الـمـجـلـسـ وـدـاـخـلـهـ،ـ كـيـ يـكـسـبـ مـصـدـاقـيـةـ وـقـبـلـاـ بـيـنـ أـطـيـافـ الـشـعـبـ وـالـمـعـارـضـةـ.

تـسـنـدـ فـيـ هـذـهـ الـحـكـومـةـ الـوـزـارـاتـ لـمـنـ هـوـ جـدـيرـ بـهـاـ،ـ وـقـاـرـ عـلـىـ الـعـمـلـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـظـرـوفـ الـتـيـ تـمـ بـهـاـ الـبـلـادـ.

الـسـابـعـ:ـ دـعـوـةـ مـجـلـسـ الـوـزـارـاءـ الـعـربـ بـشـارـ الأـسـدـ لـلـتـنـحـيـ دـلـلـيـلـ عـلـىـ أـنـ الـعـربـ فـيـ مـرـحـلـةـ سـيـاسـةـ الـلـحـظـاتـ الـحـرـجـةـ،ـ فـهـمـ لـاـ يـجـهـلـونـ أـنـ بـشـارـ الأـسـدـ سـيـرـفـضـ هـذـهـ الـدـعـوـةـ،ـ وـسـيـاسـةـ الـلـحـظـاتـ الـأـخـيـرـةـ تـقـضـيـ أـنـ يـكـوـنـ لـدـيـ هـؤـلـاءـ الـوـزـرـاءـ بـدـائـلـ وـاضـحـةـ،ـ

وـسـيـاسـاتـ مـتـدـرـجـةـ،ـ بـمـعـنـىـ عـلـىـ بـشـارـ الأـسـدـ أـنـ يـتـنـحـىـ فـورـاـ فـيـ مـقـابـلـ

أـنـ يـمـنـحـ خـرـوجـاـ آـمـنـاـ فـإـنـ لـمـ يـفـعـلـ فـ..ـ،ـ وـالـشـطـرـ الـثـانـيـ لـمـ نـسـمـعـهـ لـلـأـسـفـ إـلـىـ الـآنـ،ـ وـغـيـابـ هـذـاـ الشـطـرـ الـثـانـيـ مـنـ كـلـ

التحركات السياسية السابقة جعلها مبادرات ميّة، إذ أنّ من أمن العقوبة أساء الأدب.

لكن المرحلة الآن مختلفة تماماً، والوزراء العرب يدركون ذلك، ويدركون أيضاً حنق الشعب العربي والسوسي عليهم لخذلانهم السوريين، فكان المفروض أن يكونوا على مستوى الحدث ويقدموا ولو لمرة واحدة خطاباً يرضي الشعب العربي والسوسي، على الأقلّ كي يسجلوا موقفاً في سجل ثورة تسير حثيثاً نحو النصر بإذن الله.

لذلك المطلوب من اللجنة الوزارية إكمال خطابها، ونحن لا نطبع إلا بأن يكملوه بجملة: فإن لم يفعل فسنسلّح الجيش الحر.. وانتهينا.

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: